مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية
تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة بتيسمسيلت/الجزائر
ISSN 2571-9882 EISSN 2600-6987
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/297
Contemporary Studies is a bi-annual open access International double-blind journal. It is published by the University of Tissemsilt, Algeria.

المجلد :06/ العـدد:02 / ديسمبر (2022)، ص.433/441

تمظهرات الزمن في رواية"أنا وحايم"
للحبيب السائح

Time Manifestations of Time in the Novel of " AnaWahaim " of HabibSayeh

نافع محمد*
mohamed.nafaa@univ-tiaret.dz
مخبر الخطاب الحجاجي أصوله ومرجعياته وآفاقه في الجزائر
جامعة ابن خلدون تيارت
(الجزائر)

أ.د- يوسفي يوسف
yousfi6060@hotmail.fr
جامعة ابن خلدون تيارت
(الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2022/01/05 تاريخ القبول: 2022/02/27 تاريخ النشر : 2022/12/02

ملخص:
نسعى في هذه الورقة البحثية إلى مقاربة عنصر الزمن في الخطاب الروائي الجزائري المعاصر متخذين من رواية "أنا وحايم"، للروائي الحبيب السائح، نموذجا للتطبيق، في محاولة للإجابة على عدة إشكاليات منها: كيف تمظهر الزمن في رواية "أنا وحايم"؟ وما هي أهم التقنيات الزمنية المستعملة في تشكيل هذا النص السردي؟ وإلى أي مدى استطاعت هذه التقنيات أن تحقق الغايات الفنية والجمالية المنشودة؟.
وقد حاولنا في هذا البحث رصد أهم المكونات الزمنية الموظفة، فمن جهة عملنا على تحديد زمن القصة الطبيعي الذي أعطى للرواية بعدا واقعيا مما سهل على القارئ مهمة متابعة الحدث، ومن جهة أخرى حاولنا الوقوف على أبرز التقنيات والمفارقات التي تشكلت عبرها بنية زمن الخطاب السردي، حيث منحت للحدث الروائي أبعادا دلالية، كما أسهمت في إضفاء مسحة جمالية وفنية، استطاعت أن ترتقي بهذا النص السردي .
كلمات مفتاحية :الخطاب الروائي، زمن السرد، زمن القصة، زمن الخطاب، المفارقات الزمنية، أنا وحايم.

Abstract:*This paper aims at approaching the element of time in the contemporary Algerian narrative discourse taking the novel "Ana Wahaim" of the novelist HabibSayeh a model trying to answer many problematic such as: How did time manifest in the novel and what are the most important techniques in building up this narrative text?*
To what extent could these techniques realize the aesthetic aims? In this context, we tried to shed light on the most important used time components; we determined the natural time of the plot which gave the novel a realist dimension making it easy for the reader to keep up with the events, and also focused on the most important techniques through which the structure of the narrative discourse time had been shaped; it gave the narrative event semantic dimensions and added an artistic and aesthetic touch that boosted the text.
Keywords: *Narrative discourse,Narrationtime, plot time, discourse time, time paradoxes, Ana Wahaim*

* المؤلف المرسل

1. مقدمة:

تشغل الرواية حيزا مرموقا ضمن الأنواع الأدبية الأكثر عناية واهتماما بها في الفكر النقدي والأدبي على حد سواء، وهو ما أدى إلى تقنين الممارسة الروائية من خلال مجموعة من التقنيات السردية تتيح للروائي-كما الناقد-مساحة توافقية لبناء النصوص الروائية ومعالجتها ومن ثم نقدها، ومن بين أبرز هذه التقنيات نجد عنصر الزمن، الذي يعد من أهم الركائز التي تقوم عليها المنظومة السردية، مشكلا الإطار العام الذي تتفاعل فيه شتى المكونات والتقنيات، من مكان وشخصيات وأحداث.

وقد أولت الرواية العربية عناية خاصة بالزمن إذ عمد الروائيون إلى استخدام تقنيات يتحكمون فيها بالزمن السردي وفق طريقة ورؤية حداثية تنأى عن الطريقة القديمة والكلاسيكية التي اعتادت توظيف الزمن توظيفا عفويا، لتنتقل الرؤية الروائية المعاصرة إلى التوظيف الواعي والمكثف للزمن و بشتى التقنيات المتاحة بغية تحقيق غايات فنية وجمالية.

ورواية "أنا وحاييم" واحدة من تلك الروايات المعاصرة التي أبدع من خلالها صاحبها في توظيف مكون الزمن بطريقة واعية، متكئا على جملة من التقنيات الزمنية حاول بواسطتها أن يتلاعب بإيقاع نصه السردي بأسلوب فني وجمالي، ليفتح بذلك أمامنا أفقا نقديا يبحث أساسا عن التساؤل الآتي:

كيف تمظهر الزمن في هذه الرواية ؟

2. الزمن في حقل الدراسات السردية:

الزمن من أهم المباحث الأساسية المكونة للخطاب الروائي، فهو ذلك العنصر الفعال الذي ينظم ويربط بقية العناصر من شخصيات وأحداث ومكان، ليحيل الرواية بشكل أو بآخر إلى " تركيبة معقدة من قيم الزمن "[1]، يبسط سلطته عليها متفاعلا مع بقية المكونات في علاقة تلازميةلامناص من وجودها "فمن المتعذر أن تعثر على سرد خال من الزمن، وإذا جاز لنا-افتراضا-أن نفكر في زمن خال من السرد فلا يمكن أن نلغي الزمن من السرد، فالزمن هو الذي يوجد في السرد وليس السرد هو الذي يوجد في الزمن"[2]، وقد حظيت تبعا لذلك مقولة الزمن الروائي بعناية كبيرة في حقل الدراسات السردية، من قبل العديد من النقاد المحدثين، حاز الشكلانيون الروس قصب السبق إليها كونهم "من الأوائل الذين أدرجوا مبحث الزمن في نظرية الأدب"[3] وذلك من خلال طرحهم لثنائية (المتن الحكائي / المبنى الحكائي) والبحث فيها، والتي نتج عنها "تمييزهم بين المتن والمبنى، فالأول لابد له من زمن ومنطق ينظم الأحداث التي يتضمنها أما الثاني فلا يأبه لتلك القرائن الزمنية والمنطقية قدر اهتمامه بكيفية عرض الأحداث وتقديمها"[4]، ومن خلال هذا الطرح تم الفصل بين المتن والمبنى، فالمتن الحكائي هو الحكاية كمادة خام أو مادة أولية تتكون من مجموعة أحداث متتابعة ومتسلسلة زمنيا ومنطقيا، أما المبنى الحكائي فهو طريقة عرض وتقديم تلك الأحداث وصهرها داخل المنظومة الروائية .

إن الفصل بين المفهومين (متن/مبنى) واعتماد هذا التقسيم الثنائي الذي أتى به الشكلانيون الروس أسهم في تهيئة الأرضية للدارسين في حقل السرديات، ومن بين أبرز الذين تأثروا بالطرح الشكلاني الناقد الفرنسي جيرار جينيت(**G.Genette**)الذي استفاد من تصورات النقاد السابقين له وقام بتطويرها لتصبح مرجعا هاما في مجال الدراسات السردية.

فلقد تناول (جينيت) الزمن السردي "من منظور العلاقة القائمة بين زمن أحداث القصة وترتيباتها وعلاقتها بالنص الروائي"[5]، وهنا يفصل بين زمنين هما زمن الشيء المروي وزمن الحكاية أو باصطلاح آخر (زمن القصة/زمن الحكاية) قائلا :" الحكاية مقطوعة زمنية مرتين ... فهناك زمن الشيء المروي، وزمن الحكاية (زمن المدلول وزمن الدال)"[6].

مقترحا بعد ذلك دراسة العلاقات القائمة بين الزمنين،وحدّدها في ثلاثة أنواع هي:[7]

- النظام: وفيه تبرز تقنيتا الاسترجاع والاستباق.

-المدة: وفيه تبرز أربع تقنيات سردية، هي: التلخيص، الحذف، المشهد، الوصف .

-التواتر.

إن هذا التحديد الثلاثي الذي درس فيه (جينيت) العلاقة القائمة بين الزمنين أسهم في استنباط مجموعة من المفارقات والتقنيات التي تتشكل عبرها بنية زمن الخطاب السردي، وعليه تعد هذه الدراسة من أكبر الجهود وأهمها في دراسة زمن الخطاب الروائي، والتي اعتمدها الدارسون كمنهج لمقاربة عنصر الزمن في النصوص السردية .

3. زمن القصة في رواية "أنا وحاييم":

إن زمن القصة "هو زمن المادة الحكائية في شكلها ما قبل الخطابي، إنه زمن القصة في علاقتها بالشخصيات والفواعل (الزمن الصرفي)"[8]، أي إنه الزمن الذي تدور فيه الأحداث وفق ترتيب منطقي وطبيعي من البداية إلى النهاية، وفي رواية "أنا وحاييم" يتحدد لنا زمن القصة بوضوح وجلاء إذ إنه يتجسد في الفترة الممتدة من (1944) إلى غاية (1966) فهذه الفترة كانت عبارة عن أحداث مسترجعة جرت وقائعها امتدادا من الحقبة الاستعمارية للجزائر إلى ما بعد الاستقلال بسنوات قليلة، فالرواية تبدأ من دخول السارد (أرسلان) إلى البيت الذي كان يقيم فيه (حاييم) وأسرته، حيث يقول: "وقفت على الرصيف المقابل وقفة لم أقفها من قبل محزون الخاطر أما دار حاييم بنيمون تبدو ساكنة مثل كائن تحجر، ملتفة على فراغ يسكنها "[9]، ومنذ هذه اللحظة يشغل السارد شريط ذكرياته بما يشبه السرد الذاتي، فمن جهة ينطلق في سرد حياة كاملة عاشها رفقة تربه وصديقه حاييم مستحضرا كل كبيرة وصغيرة فيها، لأن هذه الرواية تنطلق من صداقة قوية وغير مألوفة جمعت بين أرسلان بن القايد الجزائري المسلم وبين حاييم بنيمون اليهودي الفرنسي، ضاربة لنا في ذلك أرقى صورة من صور التعايش الإنساني، ومن جهة أخرى يصور فترة مهمة من التاريخ الجزائري، راصدا فيها الكثير من التفاصيل التي مرت بها الجزائر آنذاك.

مما يلاحظ على زمن القصة في هذه الرواية أنه قد أعلن ظهوره منذ البداية، ومن القرائن الدالة عنوان الفصل الأول، والموسوم بـــ :(1944 من سعيدة إلى معسكر)، بعد ذلك يواصل الزمن تطوره و سيرورته في تتابع منطقي إلى أن يصل للنهاية، ونلحظ ذلك في قول السارد في الفصل الموسوم بـــ:(1965 بوجع الانكسار والفقد): "لاشك أن ما سيبقى عالقا بذاكرتي، أكثر من غيره، مما أذكره في ساعتي الأخيرة لهذه الليلة من نهاية ربيع عام 1966، هما الحدثان المؤلمان: الانقلاب العسكري في العام الماضي، وعودتي في هذا المساء متأخرا من أحد المجالس التربوية التي تعقد قبل حلول العطلة الصيفية "[10].

القارئ لهذه الرواية يلاحظ من خلال هاتين الفترتين الزمنيتين أن السارد قد حدد لنا الزمن الذي دارت فيه الأحداث مدرجا زمن البداية (1944) وزمن النهاية (1966)، فقد انطلق من الماضي ليصل إلى الحاضر في زمن تسلسلي ترابطي لا يقبل التشظي والانشطار .

4. زمن الخطاب في رواية "أنا وحاييم":

بعدما حاولنا تحديد الزمن الطبيعي الذي دارت فيه أحداث "أنا وحاييم"، سنحاول في هذا المحور إبراز تجليات زمن الخطاب في هذه الرواية وذلك من خلال:

4.1. المفارقات الزمنية:

المفارقة الزمنية حسب جيرار جينيت هو "مصطلح عام للدالة على كل أشكال التنافر بين الترتيبين الزمنيين (الترتيب الزمني للقصة والترتيب الزمني للحكاية)"[11]، والسرد المعاصر عمد إلى توظيف المفارقات الزمنية، وأصبح ينأى عن الخطية الصرفة محدثا التنافر عن طريق التلاعب بالزمن وذلك عبر تقنيتين أساسيتين هما الاسترجاع والاستباق، لأن الرواية غاليا ما " تعود إلى الوراء لتسترجع أحداثا تكون قد حصلت في الماضي، أو على العكس من ذلك تقفز إلى الأمام لتستشرف ما هو آت أو متوقع من الأحداث "[12].

والنص السردي "أنا وحاييم" اعتمد فيه صاحبه على هذه المفارقات الزمنية لكسر رتابة السرد وروتينيته، إذ نجده يوظف:

أ- الاسترجاع (Analepsis):وهو شكل من أشكال المفارقة الزمنية فبواسطته "يترك الراوي مستوى القص الأول، ليعود إلى بعض الأحداث الماضية، ويرويها في لحظة لاحقة لحدوثها "[13]، ومن خلاله كذلك يتلاعب السارد بتسلسل الزمن السردي.

في رواية "أنا وحاييم" جاء الزمن على طريقة العودة بالأحداث إلى الماضي، وكما أشرنا سلفا فإن أحداث القصة تمتد من 1944 إلى غاية 1966 وذلك عن طريق استحضار واستنطاق الذاكرة والبحث فيها من خلال استرجاع ماض

بأكمله كان بطلاه السارد (أرسلان) وصديقه اليهودي (حاييم)، حيث يستعيد السارد طفولته وشبابه رفقة صديقه منتقلين بين الأزمنة والأمكنة راصدا فيها الكثير من التفاصيل المتعلقة بالتاريخ الجزائري إبان فترة الاستعمار وما بعده.

ومما يبدو جليا أن هذا الاستحضار لم يكن وفق زمن نمطي متسلسل بل عمد الروائي في الكثير من المرات إلى كسر خطية هذا الزمن، ففي خضم استعادة هذا الماضي يورد لنا السارد العديد من الاسترجاعات التي ينتقل فيها من مستوى القص الأول، عائدا إلى أحداث سابقة، وذلك من أجل تحقيق غايات فنية .

ومن المقاطع التي تتجسد فيها تقنية الاسترجاع نجد المقطع الآتي على لسان البطل: "عرفت في مدرسة جول فيري أقرانا لي.لم يكن لي أن أعرفهم في القرية القريبة من مزرعتنا لو أني دخلت مدرستها، إني أتذكر صديقي حاييم بنميمون ولد صائغ الفضة و آيت آكلي ولد صانع القراديش والمهدي بوشجرة ولد الاسكافي وماكس باتيس ولد الكولون وزليخة النضري بنت الفقيه ومعلم القرآن"[14] .

يحيلنا هذا المقطع السردي إلى مدى بعيد وهو زمن طفولة البطل أو السارد، والذي كان مفترضا أن يدرجه الراوي في مرحلة متقدمة من السرد، لكنه أسقطه من المرحلة الأولى التي سرد فيها حياة الطفولة ثم استدرك ذلك في مرحلة متأخرة، حيث انتقل من مستوى أول كانت تدور أحداثه في الجامعة إلى مستوى آخر وهو الارتداد والعودة إلى مرحلة الابتدائي، فهذا التأخير والتقديم جاء لتحقيق وظيفة فنية حيث أسهم في عملية تخطيب الزمن.

وفي سياق حكائي آخر يخرج بنا السارد من زمن المحكي الأول (أحداث الثورة والجبل) إلى زمن المحكي الثاني (مذكرات حاييم) ونلفي ذلك في المقطعين السرديين على لسان حاييم:

"والدتي الغالية، عدت من عليين بإحساس أن السماء قد تحطمت من فوق رأسي، فلم يعد هناك ما يسترني ... مشيت وسط المشيعين كانواقلة.لم يكن هناك في السير بنعشك ولا في مراسم الدفن ما يظهر أي تكلف ليس لأنك فقيرة، وكلنا إلى الإله فقراء "[15] .

" كولدا ألذلك لم أطمئن يوما إلى أن أناديك حبيبتي ؟ ... تذكرين...! كنا أطفالا لست سنين في مدرسة جول فيري، وكنا لا نشعر أننا نكبر...)"[16] .

يقدم لنا السارد هنا بنية ذات سعة ارتدادية واسعة المدى شغلت مساحة من النص الروائي، كانت على لسان الشخصية (حاييم)، ففي المقطع الأول تذكر وفاة والدته ومراسم دفنها، وسردها بالتفصيل بعدما كان السارد قد أورد هذا الحدث في الصفحات الأولى ولكن باقتضاب شديد، أما في المقطع الثاني فقد تذكر حاييم حبيبته (كولدا) ساردا بعض جزئيات العلاقة التي كانت تجمعهما، ونلحظ من خلال هذا الاسترجاع أن الروائي قد حاول سد بعض الفراغ وملء بعض الفجوات بالإضافة إلى إضاءة بعض الجوانب الخفية والمجهولة التي تتعلق بحياة الشخصية.

يواصل الروائي في عملية تخطيب الزمن وهذه المرة بواسطة الاسترجاع الخارجي يستحضر لنا تاريخ مدينة سعيدة عن طريق الحوار الذي دار بين البطل والجدة في إحدى ليالي السمر، يقول:"فحدثتها عن أن مدينة سعيدة الحالية، لأني كنت قرأت ذلك في أحد الكتب التاريخية، لم يكمن في الأصل سوى مجرد حامية بناها عسكر الاحتلال، فاكتفت بأن ابتسمت لي فطلبت منها، لأني ظللت أتصور ذاكرتها تشبه خزانة مخطوطات قديمة، أن تفرز لي واحدة من حكايات كثيرة تروي عن تأسيسها لم ينسجها خيال سكانها "[17] .

فبهذا الحوار راحت الجدة وحفيدها يغوصان في دهاليز التاريخ عن طريق ارتداد طويل المدى إلى ماضي مدينة سعيدة، وعليه نجد أن هذا الاسترجاع الخارجي يسهم حتما في إضفاء عنصر التشويق من خلال كسر استمرارية السرد وذكر أحداث وقعت خارج إطار الحكاية الرئيسية .

ب-الاستباق(prolepsis): هو عملية سردية تتم من خلال إيراد تلميحات مستقبلية، يشير فيها السارد إلى حدث قبل وقوعه، أي عن طريق استشرافه والتنبؤ به، يقول حسن بحراوي "سنستعمل مفهوم السرد الاستشرافي للدالة على كل مقطع حكائي يروي أو يثير أحداثا سابقة عن أوانها أو يمكن توقع حدوثها "[18]، ومنه فالاستباق مبني على التوقع لا على اليقين فالأحداث المستبقة يمكن أن تقع ويمكن أن لا تقع، وللاستباق وظائف في العمل السردي، فهو "بمثابة تمهيد أو توطئة لأحداث لاحقة يجري الإعداد لسردها من طرف الراوي فتكون غايتها في هذه اللحظة هي حمل القارئ على توقع حادث ما أو التكهن بمستقبل إحدى الشخصيات "[19]، أي إنه تمهيد يهدف إلى جعل القارئ يتوقع ما سيحدث.

إن كل الاستشرافات التي وردت في رواية أنا وحايم كانت مسترجعة حيث يدخل الاستباق فيها ضمن دائرة الاسترجاع الذي بني عليه هيكل الرواية، فمن الاستباقات التي وردت نجد قول السارد: "فإني دهشت لأستاذ المنطق والفلسفة الإغريقية الذي كان، في إحدى محاضراته، فتح قوسين تحدث بينهما ،لأول مرة، عن خطر محدق ولازب، إن لم يتم الاستباق إليه، سيهدد الآثار الحضارية والثقافية الأوروبية وإنسانها نفسه في أرض، مثل الجزائر"[20].

السارد هنا حاول أن ينقل لنا استشراف أستاذ المنطق وتوجسه من خطر قادم أصبح يطبخ على صفيح ساخن، وفي نفس السياق أيضا يذكر لنا السارد ما دار بينه وبين زميلته المعمرة (سيلين شوفالييه)بخصوص هذا الخطر، يقول :"فكشفت لي أن عائلتها هي الأخرى أمست تشعر بأن أمرا خطيرا سيقع في البلاد لا محالة"[21].

نلاحظ أن هذين المقطعين السرديين قد وردا في غمرة الحديث عن الأحداث والأجواء التي سبقت اندلاع ثورة أول نوفمب،حيث أحس الجميع بالخطر من الشيء الذي سيحدث، وذلك عن طريق عملية الاستباق التي كانت عبارة عن توطئة لأحداث ستقع، وهو ما وقع فعلا بفضل اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر 1954.

وفي خضم ما جرى من أحداث بعد ليلة أول نوفمبر وما وقع في نفوس المعمرين من رعب وهلع، يطالعنا السارد باستباق آخر كان على شكل حوار دار بين المعمرين في المقهى، تضاربت فيه آراؤهم وهم يستشرفون مستقبلهم في البلد، وهذا ما تجسد في المقطع السردي الآتي :

"-أيعقل أن ترتعد فرنسا العظيمة لمجرد مفرقعات أطلقها شرذمة أنديجان!

-أنا لا أرى مستقبل هذا البلد في أيدينا إلا مشرقا .

-أنت لن ترى شيئا بعد اليوم سوى الدم "[22].

في هذا المقطع الحواري الذي كان بين شخصين، نلفي استباقين متضاربين في المضمون، فالشخص الأول يرى أن من قام بهذه الثورة ما هم إلا شرذمة قليلة خارجة عن القانون، وسيتم دحرها في وقت وجيز، لذلك يستشرف بأن مستقبله لن يكون إلا مشرقا في هذا البلد، لكن هذا الاستشراف لم يتحقق له فيما بعد، أما الشخص الثاني فرأى عكس ما رآه الأول، إذ إن هذه الثورة حقيقية، ولن يرى شيئا بعد اليوم سوى الدم، وهذا ما تحقق فعلا، فبعد سنوات من الدم كللت هذه الثورة بالنجاح وبالتالي فالاستباق هنا لمح لما سيأتي لاحقا، وقد تم تحقق ذلك الاستشراف والتنبؤ .

يواصل الروائي في صنع مفارقة الزمن عن طريق عملية الاستباق بطريقة تبرز تحكمه في أدواته الكتابية فها هو يدرج لنا مقطعا سرديا يقدم فيه توطئة لأحداث لاحقة وما سيؤول إليه مستقبل بعض الشخصيات، يقول:"ففاكهني حايم، كعادته، ليخفف عني، ذلك أني كنت أشعر بالقلق، فعلا :

وستنتهي مقاتلا من أجل القضية الأخرى و سأجدني متورطا معك .

-رغم أنفك إنها قضية مشتركة سندخل معركتها قريبا "[23]

إن السارد هنا استشرف لنا مصيره ومصير صديقه حايم في هذه الثورة، وهو ما قد حدث وتحقق في ما تبقى من السرد، لأن (أرسلان)السارد التحق مقاتلا في صفوف جيش التحرير بالجبل، أما (حايم)فعمل مناضلا في صيدليته داعما لهذه الثورة بإرسال الأدوية سرا إلى المجاهدين.

4. 2. قياس الديمومة:

يقصد بقياس الديمومة دراسة المدة القائمة بين زمن القصة وزمن الخطاب في العمل السردي، وهو ما يعرف أيضا بالايقاع الزمني، الذي يتحكم المبدع في تشكيله وتوزيعه بالاستعانة بجملة من التقنيات والحركات السردية التي تعمل على تحديد الوتيرة التي تعرض بها الأحداث، حيث تتحدد من خلال سرعة السرد وبطئه أو تعطيله، وتتمثل هذه التقنيات في الخلاصة، الحذف، الوقفة، المشهد، فالتقنية الأولى والثانية تهتم بعملية التسريع، أما الثالثة والرابعة فتهتم بعملية التعطيل.

4. 2. 1تسريع السرد :

بواسطة تقنيتي الخلاصة والحذف يتجلى لنا تسريع السرد "حيث يلجأ السارد إلى تلخيص وقائع وأحداث فلا يذكر منها إلا القليل، أو حين يقوم بحذف مراحل زمنية من السرد، فلا يذكر ما حدث فيها مطلقا "[24].

أ-الخلاصة(Symmary): هي ميزة من ميزات السرد الروائي إذ إنها تقنية "تعتمد في الحكي على سرد أحداث ووقائع يفترض أنها جرت في سنوات أو أشهر أو ساعات، واختزالها في صفحات أو أسطر أو كلمات قليلة دون التعرض للتفاصيل"[25].

في رواية "أنا وحاييم" عمد السارد إلى استخدام هذه التقنية التي أدت دورا فعالا في اختزال زمن القصة، ومن أمثلة ذلك نجد قول السارد:"وبنهاية سنتنا الأولى، سبقت ذلك نتائج الفروض الفجائية والاختبارات الفصلية، كنا من الأوائل في الترتيب"[26]، فالسارد هنا اختصر لنا مسار سنة دراسية كاملة في بضعة أسطر قليلة دون اللجوء إلى التفصيل.

وفي مقطع سردي آخر يقول:"لم تؤثر على هامش حياتنا الخاصة، أنا وحاييم، السنتان الثانية والثالثة اللتان قضيناهما بإصرار وجهد متزايدين لارتفاع نسق المقاييس الجديدة والندوات المغلقة، فدخلنا المسرح والسينما وتجولنا في الغابات القريبة وتنزهنا في الحدائق وسبحنا في البحر خلال أيام الربيع الساخنة"[27]، حيث نجد تلخيصا لسنتين من الحياة الجامعية التي قضاها السارد رفقة صديقه حاييم في مدينة الجزائر، وذلك في خمسة أسطر، وفي نفس السياق أيضا، يقول "سنوات الجامعة الأربع ونادي الطلبة وحي القصبة واللقاءات والاجتماعات ولحظة فزعي وهروبي من البوليس وكل الذكريات الصغيرة انثالت علي إذ نظرت إلى وجه حسيبة وصال الجميل مضرجا بالدم "[28]، فالسارد أشار إلى ما وقع من أحداث في سنوات الجامعة الأربع، ومنها حادثة مقتل حسيبة دون أن يفصل في ذلك .

ومما نلاحظه أن هذه التلخيصات جاءت لسد ثغرات سردية من أجل اكتمال البناء الروائي، فقد كان الاختزال والتلخيص أداة للتنقل عبر الزمن، تختصر فيه الأيام والسنوات بإشارات عابرة وقفزات محدودة دون اللجوء إلى التفصيل، وبذلك كانت هذه الإشارات بمثابة المحفز الذي يشوق المتلقي إلى معرفة التفاصيل .

ب- الحذف(Ellipse):هو تقنية يتم بواسطتها "تجاوز بعض المراحل من القصة دون الإشارة بشيء إليها، ويكتفي بالقول مثلا "ومرت سنتان" أو "انقضى زمن طويل فعاد البطل من غيبته " ... ويتضح من هذين المثالين بالذات أن القطع إما أن يكون محددا أو غير محدد "[29]، وتعمل هذه التقنية على تسريع وتيرة السرد، حيث يعمد السارد إلى إسقاط أو تجاوز أحداث وقعت في فترة من الفترات، ومن أمثلة الحذف في رواية أنا وحاييم نجد :

قول السارد: "وصرنا للسنتين الثانية والثالثة على التوالي إضافة إلى قضاء وقت فراغنا في تلك العطل القصيرة في المراجعات وحل التمارين"[30].

وكقوله: "بعد أيام إذ التقينا كما العادة في الزنقة صباحا، أخبرنا بعضنا بوجهة سفر كل منا "[31].

وقوله أيضا: "كانت ثلاثة أسابيع من الانتظار قد انقضت لما تم الإعلان عن نتائج البكالوريا "[32].

وقوله أيضا: "إذ بلغني قرار تعييني مفوضا لبلدية المدينة شهرين بعد إعلان الاستقلال"[33].

وعليه نلاحظ أن هذه المحذوفات التي وردت قد ساهمت في عملية تسريع الحكي، من خلال القفز فوق الكثير من الأحداث والاكتفاء بالإشارة الموجزة عن كل حادثة .

4. 2. 2. تعطيل السرد:

في هذا العنصر سنشير إلى التقنيتين المستخدمتين لتعطيل سرعة وحركة الزمن وهما المشهد والوقفة:

أ- المشهد(Scene):وتتجسد هذه التقنية من خلال المقاطع الحوارية وفيها يتساوى زمن القصة مع زمن الخطاب إذ "يقوم الراوي فيها باختيار المواقف المهمة من الأحداث الروائية وعرضها عرضا مسرحيا،مركزا،تفصيليا ومباشرا أمام عيني القارئ،موهما إياه بتوقف حركة السرد عن النمو "[34]، وفي رواية أنا وحاييم لعبت هذه التقنية دورا كبيرا في تعطيل السرد، إذ حفلت الرواية بالكثير من المشاهد الحوارية التي شغلت مساحة كبيرة من النص الروائي، وقد تنوعت هذه المشاهد مابين حوارات داخلية وأخرى خارجية ومن الأمثلة نجد هذا المشهد الحواري الذي يقول فيه السارد:"منذ ذلك العمر، لملامحك اللطيفة وسحنتك الهادئة وعينيك الحالمتين، كنت ذا جاذبية خفية ... قلت بهمس .

واذ توهمته تبسم، وأضفت:

هل تذكر آخر عفرتنا؟ .. تلك التي ارتعبنا خلالها من صرخة ألفونسو باتيست فينا عالقين بشجرة إجاص في بستان مزرعته قرب ضفة الوادي "[35].

هذا المشهد كان عن طريق المونولوج الذي توهم فيه السارد أنه يتحدث مع صورة صديقه حاييم عن إحدى مغامرات الطفولة، وهو يسترجع حادثة جرت لهما مع أحد المعمرين، وكان ذلك على مدى صفحات من النص الروائي، وبالتالي فقد أسهم هذا المشهد في عملية تعطيل السرد وتبطئته.

و في حوار خارجي آخر يكسر السارد رتابة السرد من خلال تعطيل الزمن عن طريق المشهد وذلك عندما ينقل لنا الأحداث بحركية وفاعلية، يقول:"بيد أن غيره كان أمسك بي من ذراعي بقوة، ناطقا لي بلهجة عربية.

خليك منو !

وهزني من مرفقي .

ذلك عنصري !أعرفه هو وجاعته.

-إنهم يحسبون أنفسهم أرفع منا درجة .. قلت بغضب .

-كراهيتهم التي يكشفون عنها بدائية .

-وأكثر من ذلك مدعية ..،قال مبتسما

-مد لي يده، فتصافحنا، بحرارة.

الصادق هجاس كلية الطب

-أرسلان حنيفي، قسم الفلسفة "[36].

عن طريق هذا الحوار يتوقف السارد بالزمن ويتخذ من المشهد مطية لظهور شخصية جديدة (الصادق هجاس) تاركا له الفسحة للتعريف بنفسه واعطاء موقفه إزاء الأحداث، وذلك من خلال الكلام الذي دار بينهما تعقيبا على الشجار الذي وقع بين البطل وأحد الطلبة من الأقدام السوداء، مبرزا في ذلك الصورة السلبية للآخر.

ب-الوقفة الوصفية(Descriptive stop):هي تقنية تقوم على تعطيل حركة السرد، وتكون على شكل "توقفات معينة يحدثها الراوي بسبب لجوئه إلى الوصف، فالوصف يقتضي عادة انقطاع السيرورة الزمنية ويعطل حركتها "[37]، وبالتالي يكون فيها زمن السرد أقل من زمن الحكاية، فالسارد يتوقف بالزمن ليعطي لنفسه فرصة نقل بعض التفاصيل الجزئية عن مكان أو شخصية .

والمتصفح لرواية "أنا وحاييم" يجد أن الوقفة تشكل حضورا بارزا فيها، حيث حاول السارد في الكثير من المرات التوقف بالزمن بغية تصوير بعض الأمكنة، وكذا رسم ملامح بعض الشخصيات عن طريق الوصف، ومن أمثلة الوقفة التي تهتم بتصوير المكان نجد وصف السارد لثانوية معسكر، يقول:"فرافقنا حتى باب الثانوية التي ما إن دخلناها حتى ملأت بصري فخامة بنايتها التي هي في شكل مستطيل مفتوح من أحد عرضيه، وهي مكونة من طابق أرضي وطابقين علويين، وأدهشني ما بداخلها، من الساحة بأشجارها الموزعة عبرها بتناسق، إلى المرافق المعينة بلافتات في أعلى الأبواب:الإدارة، الحراسة العامة، قاعة الأساتذة، قاعات الدروس، المكتبة "[38]، فهنا يشعر المتلقي بأن عجلة الزمن قد توقفت لأن السارد قام بالتقاط صورة للمكان، وراح يعطي فيها وصفا دقيقا عن هذا المكان الموصوف داعيا القارئ أن يشاركه الرؤية والمشاهدة .

أما فيما يخص الوقفة التي تهتم برسم ملامح الشخصيات، وعلى سبيل المثال لا الحصر، فنجد وصفه الخارجي لشخصية (كولدا) حيث يقول:"فوقف أما صورة كولدا النصفية، المكبرة في براوز متوسط الحجم، حدق فيها متأملا جبهتها البارزة لمسكة شعرها المذهب إلى الخلف تكاد لا تطلق، وعينيها المدورتين يشع منهما بريق حاد، وأنفها الكبير قليلا ووجنتها غير العامرتين، عكس شفتيها الممتلئتين ،وجيدها الخالي من الحلي مثل أذنيها"[39].

يقدم هذا السياق السردي وصفا دقيقا، رسم لنا فيه السارد ملامح (كولدا) الخارجية بتفاصيل جزئية مما يعطي للقارئ لمحة عن هذه الشخصية، وعليه كانت هذه الوقفات بمثابة الاستراحة التي يتوقف فيها السارد بالزمن منتقلا من حدث إلى حدث ومن مستوى إلى آخر، درءا للملل الذي قد يصيب القارئ.

5. خاتمة:

بعد مقاربتنا لمكون الزمن في رواية " أنا وحاييم " للروائي الحبيب السائح خلصنا إلى النتائج الآتية:

-عمل زمن القصة في هذه الرواية على إعطاء الأحداث بعدا واقعيا، عبر استحضار وقائع تاريخية وذلك من خلال إدراج القرائن الزمنية الطبيعية التي تدل على فترات معينة، مما سهل على القارئ مهمة متابعة الحدث.

-اعتمد الروائي على عملية تخطيب الزمن بواسطة الاتكاء على جملة من التقنيات الزمنية، التي استطاع بفضلها أن يمنح أبعادا دلالية للحدث الروائي.

-أسهمت المفارقات الزمنية (الاسترجاع والاستباق) في كسر خطية الزمن، وكذا في سد الكثير من الثغرات السردية، سواء عن طريق العودة إلى أحداث مضت كان قد مر عليها الراوي مرور الكرام في فترة من فترات السرد، ليعرج على حدث ما، أو يضيء جانبا من جوانب الشخصية في مرحلة من مراحلها وهذا ما لمسناه في الرواية، أو عن طريق الاستباق الذي يستشرف به حدثا محتمل الوقوع وقد وجدنا أن جل الاستباقات التي وردت قد تم تحققها في المتن السردي.

- تراوح إيقاع الزمن في هذه الرواية ما بين السرعة والبطء، فكان للحذف والخلاصة دور كبير في التسريع فعن طريق الإشارات الموجزة تم تلخيص الكثير من الأحداث وكذا القفز فوق العديد من الفترات، أما المشهد والوقفة فكان لهما الأثر البالغ في التعطيل، حيث تم بواسطتهما تعطيل حركة السرد عن النمو من خلال رصد الحوارات وتصوير الأمكنة ورسم الشخصيات، وعليه فكل هذه التقنيات ساهمت في إضفاء مسحة جمالية وفنية، استطاعت أن ترتقي بهذا النص السردي .

مراجع البحث وإحالاته:

[1]-أ.أ.مندولا، الزمن والرواية، تر: بكر عباس، دار صادر للطباعة والنشر-بيروت ،ط1، 1997،ص:75.

[2]-حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي(الفضاء، الزمن، الشخصية) المركز الثقافي العربي ،لبنان،ط2، 2009، ص: 117.

[3]-المرجع نفسه، ص: 23.

[4]- المرجع نفسه، ص: 23.

[5]-إبراهيم عباس،الرواية المغاربية. تشكل النص السردي في ضوء البعد الإيديولوجي،دار الكتاب، الجزائر،ط1، ص:295.

[6]- جيرار جنيت، خطاب الحكاية .بحث في المنهج، تر:محمد معتصم وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، ط2، 1997، ص:45.

[7]- آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ط2، 2015، ص: 32.

[8]- سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط2، 2001، ص:47.

[9]- الحبيب السائح: أنا وحايم، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2018، ص:10.

[10]- المصدر نفسه،ص:322.

[11]- جيرار جنيت، خطاب الحكاية .بحث في المنهج، ص:51.

[12]- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص:119.

[13]-سيزاقاسم:بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط1، 1985، ص:58

[14]- الحبيب السائح: أنا وحايم ، ص:108.

[15]- المصدر نفسه، ص:200.

[16]- المصدر نفسه ، ص:202.

[17]- المصدر نفسه ، ص:102.

[18]- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص:132.

[19]- سيزاقاسم:بناء الرواية، ص:59.

[20]- الحبيب السائح: أنا وحايم، ص:115.

[21]- المصدر نفسه، ص:115.

[22]- المصدر نفسه، ص:225.

[23]- المصدر نفسه ، ص: 128.

[24]- محمد بوعزة: تحليل النص السردي، الدار العربية للعلوم، ناشرون ومنشورات الاختلاف، بيروت، ط1، 2010، ص:93.

[25]- حميد لحميداني: بنية النص الروائي، من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت-لبنان،ط1، 1991، ص:76.

[26]- الحبيب السائح: أنا وحايم، ص:25.
[27]- المصدر نفسه، ص:101.
[28]- المصدر نفسه ، ص:186.
[29]- حميد لحميداني: بنية النص الروائي، ص:77.
[30]- الحبيب السائح: أنا وحايم ، ص:26.
[31]- المصدر نفسه، ص:37.
[32]- المصدر نفسه، ص:47.
[33]- المصدر نفسه، ص:249.
[34]- صلاح فضل: أساليب السرد في الرواية العربية، دار المدى للثقافة والنشر، بيروت-لبنان، ط1، 2003، ص:21.
[35]- الحبيب السائح: أنا وحايم ، ص:13.
[36]- المصدر نفسه، ص:80.
[37]- حميد لحميداني: بنية النص الروائي، ص:76.
[38]- الحبيب السائح: أنا وحايم، ص:20.
[39]- المصدر نفسه، ص:205.

قائمة المصادر والمراجع:

1.أ.أ.مندولا،الزمن والرواية، تر: بكر عباس، دار صادر للطباعة والنشر-بيروت، ط1997،1.
2. إبراهيم عباس،الرواية المغاربية. تشكل النص السردي في ضوء البعد الإيديولوجي، درا الكتاب، الجزائر،ط1.
3. آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ط2، 2015 .
4. جيرار جنيت، خطاب الحكاية .بحث في المنهج، تر: محمد معتصم وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، ط2، 1997.
5. الحبيب السائح: أنا وحايم، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2018.
6.حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي(الفضاء، الزمن، الشخصية) المركز الثقافي العربي ،لبنان،ط2009،2 .
7.حميد لحميداني: بنية النص الروائي، من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت-لبنان،ط1، 1991.
8. سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط2، 2001 .
9. سيزا قاسم: بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط1، 1985 .
10. صلاح فضل: أساليب السرد في الرواية العربية، دار المدى للثقافة والنشر، بيروت-لبنان، ط1، 2003 .
11. محمد بوعزة: تحليل النص السردي، الدار العربية للعلوم، ناشرون ومنشورات الاختلاف، بيروت، ط1، 2010 .